السيد أحمد الماجد

الطريق إلى معرفة الله

دراسة موجزة في المنهج السليم لمعرفة الله

دار الكلمة الطيبة



الطريق إلى معرفة الله

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

السيد أحمد الماجد

الطريق إلى معرفة الله

دراسة موجزة في المنهج السليم لمعرفة الله

دار الكلمة الطيبة

الإهداء

أهدي كتابي هذا الى والدي رحمه الله تعالى ، وأسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته وأن يحشره مع محمدٍ وآله الأبرار، كما أهديه إلى والدتي وأسأل الله أن يجزيها عني خيراً.

كما أهديه أيضاً إلى شهداء الإسلام من هم أحياء عند ربهم يرزقون والذين هم مشاعل الحرية والشرف ومن جاهدوا في الله حتى استشهدوا ونالوا بذلك أعظم الدرجات، إليهم جميعاً أهدي كتابي هذا وأسأل الله أن يتقبله مني إنه هو السميع المجيب.

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله الطاهرين

كيف نعرف الله؟

سؤال لطالما فتش عن إجابة على مر العصور ولطالما كتب عنه الكثيرون وأجاب عليه الباحثون، فكثرت الكتابات حول ذلك وانتشرت البحوث ولا زالت تنتشر.

إلا أن أهم ما في موضوع «معرفة الله عز وجل» هو إختيار المنهج السليم لتلك المعرفة.

ألا ترى أن كثيرين ممن أرادوا تلمس الطريق الى معرفة الله تبارك وتعالى لم يصلوا إلى ما أرادوا؛ بل ان بعضهم ـ ونتيجة لقصور في المنهج ـ إبتعد عن المعرفة الصحيحة؟ فلا يمكن أن نعرف ربنا سبحانه وتعالى وفق مناهج مادية بحتة، أو عبر ظنون البشر أو تخيلاتهم.

ومن هنا نجد أن رسول الله (ص) وأهل بيته عليهم السلام بذلوا ما في وسعهم ولم يدّخروا جهداً في الكشف عن المنهج السليم في معرفة الله سبحانه وتعالى والتي لا تحصل للإنسان إلا من الله نفسه.

وكمثال على ذلك جاء في الدعاء المأثور:

« ـ إلهي ـ بك عرفتك، وأنت دللتني عليك، ولولا أنت لم أدرِ ما أنت ».

وإن المؤلف في كتابه هذا لم يشذ عن هذه القاعدة الهامة في مجال معرفة الله عز وجل، فقد اعتمد في بحثه على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ليستخلص منها المنهج الصحيح في المعرفة.

وفعلاً جاء الكتاب الذي بين يديك محاولة لتسليط الضوء على الطريق الصحيح في معرفة الله.

أرجو من الباري عز وجل أن يجعل هذا الكتاب بداية سلسلة من المؤلفات، وأن ينفع به المؤمنين، وأن يوفق المؤلف الى خدمة الدين الحنيف في كل الحقول، ويوفقنا جميعاً لمراضيه.

إنه ولي التوفيق

محمد العلوي

٨ ربيع الأول ١٤١٣ هـ

١٩٩٢/٩/٦ م

المقدمة

الحمد لله الذي ليس له حدٌّ محدود ولا نعتٌ موجود ، كلّت الالسنُ عن معرفته ، والافهام عن الوصول الى كُنهِهِ ، والحمد لله المعروف من غير رؤيه ، والحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كُنهِ معرفته ، والحمد لله الذي لاتدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ، ولا تراه النواظر ، ولا تحجبه السواتر ، الدال على قِدمِهِ بحدوثِ خلقِه ، وبحدوث خلقه على وجوده ، وبإشتباههم على أن لا شبه له ، والحمد لله الذي تتلقّاه الأذهان لا بِمُشاعَرِهِ ، وتشهد له المرائي لابمناظره . لم تحط به الاوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها إمتنع منها ، واليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدّت به النهايات فكبّرته تجسيماً ، ولا بذي عِظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبُر شأناً ، وعظم سلطاناً . والحمد لله الذي اظهر من آثار سلطانه ما حيّر به مقل العقول من عجائب قدرته ، والحمد لله العليّ عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين . هو الله الحق المبين ، احق وأبين ممّا تراه العيون ، لم تبلغه

العقول بتحديد فيكون ،شبهاً ، ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون مُمَثَّلا . ثم الصلاة والسلام على سيّد خلِقهِ وهادي بريته السراج المنير خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا ومولانا ابي القاسم محمد وعلى اهل بيته الأئمة الميامين واصحابه المنتجبين .

تقريض

هذه الأبيات قدمها سماحة العلامة الشيخ حسن طراد حفظه الله . . وهي للرد على الماديين المنكرين لوجود الله الخالق لهذا الكون العظيم . بدعوى انه لو كان موجوداً لكان مدركاً باحدى الحواس الخمس لجهلهم او تجاهلهم بان وسائل المعرفة غير محصورة بها وأن هناك اشياء كثيرة حصل الايمان الجازم بوجودها عن طريق أثارها الكاشفة بحكم العقل السليم . عن وجودها في لوح الواقع مع عدم وقوعها تحت الحس وفي أوضح مصاديقها الروح والطاقة الكهربائية وفيما يلي الأبيات المشار اليها .

قالوا وقلنا

قالوا وقلنا والحقيقة لاتغادر ما نقول

قالوا وجود الله وهم في خواطرنا يجول

لو كان ذا حقا لكان له بواقعنا مقول

ونقول : هذا القول وهم كاذب زور فضول

لم يحجب الله عن العقل ليحتاج الدليل

كل ما في الكون أي تثبت الرب الجليل

فانجلاءالليل ينبي عن سنا الفجر الجميل

وإهتزاز الزهر ينبي عن نسيم في الحقول

تمهيد

قبل أن نطرق باب هذا الحديث الحساس ينبغي لنا أن نمهد له بمقدّمة ، وعن آياته العظمى .

إن الشخص الذي يتخرج من المرحلة الإبتدائية في المدرسة اذا حاول اوسعى لأن يحّل مسألة رياضية تدّرس في المراحل العليا من الثانوية او الجامعة . . فماذا ستكون النتيجة ؟ بالطبع ان هذا الإنسان لن يحلّ المسألة ، وسوف يضلُّ ضلالاً بعيداً ، يضل ضلالة عدم معرفته بالرياضيات ، وسوف يؤدي ذلك الى إفساد ما كان يعرفه ، لأنه لم يُأتِ علم الرياضيات التي تدرّس في الثانوية او الجامعة ، فأراد أن يقحم نفسه فيه وأن يتكلّف علماً دون مقدوره . وفي عالم المادّيات ايضاً اذا حمل الإنسان وزناً لايستطيع أن يحتمله لأن جسمه يحتمل نصفه أو ما دونه ، فإذا تكلف بحمل ١٠٠ كغ وجسمه لا يحتمل الاّ ٥٠ كغ فسوف تكون النتيجة أنّ فقرات ظهره سوف تنزلق ، وسوف

لا يستطيع بعد ذلك أن يحمل ٥٠ كغ ، أي أنّه ليس فقط لا يستطيع أن يحمل ثقلاً بوزن ١٠٠ كغ ، وانما إذا حاول ذلك سيفسد عليه مقدوراته السابقة . هكذا الانسان اذا اراد أن يتكلّف علماً لم يبلغه عقله فإنه ليس فقط لا يستطيع أن يحيط بذلك العلم وإنما سوف ينسى علومه السابقة ، لأنه يعتمد على مقاييس غير صحيحة فبالتالي سوف تأثر على مجمل افكاره وحيفّياته ، فلذلك نرى أن كثيراً ممن حاولوا أن يتخطوا الخط المحرّم عليهم عبوره وحاولوا أن يتخطو حاجز العقل البشري تاهوا وضلّوا وما اهتدوا . فكثيراً من الخرافيّات الزائفة والاوهام الباطله تورطوا فيها لسبب أنهم حاولوا أن يفهموا مالم يؤتوه ، وحاولوا أن يقفزوا حاجز عقولهم التي لا تتجاوز ما وراء الجدار ، اي انها لا تتجاوز علمها المحدود البسيط .

وفي معرفة الله عزّوجل أخطئوا أخطاء كبيرة وفادحة ، لأنهم حاولوا بجهلهم وقصور عقولهم التعرف على الله ، أولا يعلم هؤلاء أن علم الانسان عاجز عن الإحاطة بنور العلم ونور العقل ، إن نور الوجود لايعرفه الانسان . فكيف بمعرفة الله جلّ ثناءه وتقدّست اسماءه . آيات الله ومعجزاته هل إنتهت حتى نعرفه ؟ كلّا ولكنهم حاولوا وتكلفوا معرفة ذات الله فضلوا وأضلوا خلقاً كثيراً . فنراهم تصوروا تصورات ساذجة وتوهموا توهمات باطلة ما انزل الله بها من سطان . فقالوا إن الله عزّوجل يرى وقد رأوه وإنه كهيئة شيخ له لحيةٌ طويلة بيضاء ووجهه يسطح نور ، وقال آخرون إن لله جوارح كالإنسان ،

وزعم آخرون بانّ الله جسمٌ نوراني . وكثرت أقاويلهم الباطلة . فحاشى لله أن يدرك وصفه الواصفون ، او يحيطه وهم البشر . وما ضلالتهم هذه الاّ لأنهم أرادوا أن يقيسوا الله بأنفسم فتاهو في بحر الغّي والظلام « ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله زبانيتين اي قرنين فإنهما كما لها وتتصور أن عدمهما نقصان لمن لا يكونا له »[1]

كل هذه الاوهام والتصوارات التي تصورها وتوهمها المضلون سببها إنهم حاولوا التعرف على الله عبر غير السبيل الذي رسمه لهم . فجالوا بعقولهم ابحر الغيّ والضلال . اولا يعلموا انه لم يؤذن لعقولنا الصغيرة أن تخوض في بحر ذات الله ، لأنها لن تتوصل الى شيء غير أنها سوف تبتعد عن المعرفة اكثر . إن الله دعانا لأن نتفكر في مخلوقاته وأياته ومعجزاته ، فبها يعرف الله لدلالتها عليه (يامن دلّ عل ذاته بذاته) . ﴿ اولا يتفكرون في خلق السماوات والارض ﴾ .

وفي هذا الجهد البسيط الذي بين يديك نحاول أن نبين فيه الطريق الى معرفة الله عزّوجل ؟ وهل ان الله يرى ؟ وهل هو جسم ؟ وبحوث اخرى تتعلق بهذه النقاط . نسأل الله أن يلهمنا علماً وعملاً وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح انه ولي قدير .

٢٥ ـ رمضان ـ ١٤١٠ هـ

احمد الماجد

---

(١) عن الامام الباقر محمد بن علي عليها السلام .

حكمة الله في خلقه

خلق الله العقل واعطاه ما اعطاه ولكن حدّه بالعطاء كما حدّ غيره من الاشياء ، فأعطى المخلوقات الحياة وحدّ حياتها بالممات . وأطلق العنان لجنود الظلام حتى تغزوا جوّ السماء واردفها بجنود الضياء لكي توقفها عن زحفها ، ووهب كلّ شيءٍ ما وهبه وحدّه بأن جعل له في مقابلة شيء يوقفه عند حدّه ، وهذه نهاية كل شيء فأعطى العقل ما اعطاه ولكن اوقفه عند حدٍ حسّاس لا يمكن أن يتجاوزه ، ومنعه من التفكّر في ذات الله (مَن تفكّر في ذات الله تزندق) . وهذه حكمة الله عزّوجل ، فلو سمح لعباده بذلك واطلق لهم العنان لتاهوا في ابحر الغيّ والظلام ولأشركوا به وتزندقوا ، لأنهم لن يصلوا الى كُنهِ معرفته ، ولو أعطاهم القدرة الى الوصول لشبهوا أنفسهم به جلّ شأنه ، ولصار الخالق والمخلوق سواء في المعرفة ،فبحكمته منع عن عباده ذلك . وفي المقابل اطلق العنان للعقل لأن يتفكّر في آياته ويميّز ويختار ويتدبّر ويفسّر حتّى لاتكون للبشر حجة على الله .

ولكن لَمْ يمتثل الكثيرون بأمر الله لعدم إتبّاعهم سبيل الهداية ، فارادوا أن يقحموا أنفسهم بعلم مالم يكّلفوا به وما لم يؤمروا به فضلوا ضلالاً بعيداً . كان عليهم أن يتفكروا في المخلوق فتفكّروا في الخالق . . وكما ترى الدهريين الذين انكروا وجود الله والسبب انهم أرادوا إلهاً يحسّونه بايديهم ويخضع لتجاربهم ، فلم يجدوا مثل ذلك الإله فقالوا إن الله غير موجود ، وإذا كان موجوداً لماذا لا نراه ؟ ولماذا لا يكلمنا ؟ ولماذا لا نسمعه ؟ . . . فكما نرى سبب إنكار الدهريين والملاحده لله عزّوجل أنهم أرادوا أن يتعمقوا في ذات الله فضلوا وتزندقوا .

اعلم ايّها الانسان إن الله عزّوجل :

« لم يُطلعْ العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته ، فهو الذي تشهد له اعلام الوجود ، على اقرار قلب ذي الجحود ، تعالى الله عمّا يقولُهُ المشبّهونَ به والجاحدون له عُلُوّاً كبيرا »[2] .

فلم يمنع العقل من أيّ شيء واطلق له العنان ليعرف كلّ شيء ، ومنعه من الوصول الى معرفة ذاته عزّوجل . من هنا فقد عرفنا أن الله عزّوجل شاءت حكمته أن لا يتوصل البشر الى معرفة ذاته . ولكن لو تساءلنا ما هو السبيل الى الوصول الى معرفة الله عزّوجل ؟ وفي الاصل هل يمكننا التعرف على الله جل اسمه ؟

---

(٢) نهج البلاغة .

كيف نعرف الله

الحديث عن الله عزّ وجل حديث عميق وكبير تاهت فيه عقول الفلاسفة وكثرت فيه شطحاتهم واوهامهم ، ومن قبلهم ومن بعدهم ممّن انتهج نهجهم غرق مثلهم ، وبذلك كشفوا عن جهلهم وعن عجز الانسان عن الإلمام بمعرفة الله عزّ وجل . الاّ عبر السبيل المؤدي اليه ، وسبيله القويم وصراطه المستقيم ليس الاّ سبيل حجج الله على خلقه والأدلة اليه ، ومن انتهج نهج الرسل واستوحى من رسالات الله التي انزلها عليهم .

وإن معرفة الله عزّ وجل لا تتطلب القفز على حاجز العقل البشريّ ، حتّى لا يتيه الشخص في أبْحُر الغّي والظلام ، فليس عليه ان يتفكر في ذات الله فيخوض عباب هذا البحر الذي ما خاضه احد الاّ وقد هلك ، وكما ذكرنا في البداية إن الاسلام حرّم علينا التفكر في ذات الله « من تفكّر في ذات الله تزندق »[٣]

---

(٣) الامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام .

لأن اقحام العقل في امور لا طاقة له بها ولم يؤذن له بالتعرف عليها يؤدي ذلك الى مفسدته والى تيه صاحبه في ظلماتٍ عبوسة . ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وإن الى ربك المنتهى ﴾ جاء في حديث مأثور عن ابي عبدالله (ع) :

« اذا انتهى الكلام الى الله فأمسكوا ، وتكلموا فيما دون العرش ، فإن قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه »[4] .

كلُّ ذلك بسبب انهم ارادوا أن يتجاوزوا حدود عقولهم فاختلطت عليهم امورهم فلا يدري الرجل منهم أُدعي من امامه او من خلفه . ربّما تسأل انه لايحيطه الوهم ؟ ولا يدركه العقل ؟ ولا يناله البصر ؟ ولايحدُّ بحدْ ؟ ولا هو بشيء كسائر الاشياء ؟ اذاً ما هو ؟ وكيف يمكننا التعرف عليه ؟

---

(٤) بحار الانوار ٣ ص ٢٥٩ .

طريق المعرفة :

وللمعرفة نسلك طريقين يدلنا عليهما العقل .

اولاً : أيات الله وأسماءه . .

إن معرفته عزّ وجلّ تكون عبر آياته فالتفكر في أياتهِ خير من عبادة سنة كما في الحديث عن رسول الله (ص) « تفكر ساعه خيرٌ من عبادة سنة »

وما أسماؤه الاّ دليل على أياته ، فبأسمائه تعرف أياته وبأياته نعرفه جلّ اسمه . وما هذه الاسماء الاّ دليل مرشد وموجه الى أياته لدلالتها عليها .

ومعرفة الله دون الايمان به لاتكفي ، كما أن اسماءه جلّت وعظمت وحدها لاتدل على شيء ، لاننا عندما نقول « العظيم » إن هذا الاسم مرتبط بما يّدل عليه من معنى ، أي انّه يدلّ على أن عظمته سبحانه وتعالى تجسّدت على ارض الواقع فأزالت كل عظيم ، فهو عظيم في شأنه وقدرته وجميع صفاته جلّت وعظمت صفاته ،وأسماؤه، وإذا قلنا « قوي » فقوته سبحانه وتعالى عرفناها عن طريق إبادة كل ظالم وكل قوّي متجبّر في الكون ، (ورحمته) تجلّت لنا بنصره لكل مظلوم ، وبما عرفناه من معنى الرحمة في كل شيء . وهكذا في كل صفاته سبحانه وتعالى . وبمثالٍ بسيط وبدون تشبيه ، إننا لانعرف صفة الكرم الاّ بتجسيدها على ارض الواقع وكذلك التقوى والاحترام او غيرها من

الصفات اننا لانعرفها الآاذا رأيناها على ارض الواقع ، فهي التي تعّرفنا على صاحبها ، اي صفة الكرم عرّفت الكريم ، وصفة التقوى عرّفت المتقي وهكذا باقي الصفات .

فسبحاته عرّفنا على أسمائه وبها عرفنا آياته ، وما أسماؤه الآ صفاته ، فإرجع الى كل اسمٍ من أسمائه جلّت وعظمت سوف تراه انه صفه من صفاته . فهو (الخالق ، الرازق ، الباسط ، الرحمن ، الرحيم ، المؤمن ، المهيمن ، الغفور . . .) فعرّفنا على اسمائه وبها عرفنا آياته ، ومن خلال التفكّر في آياته نتعرف عليه سبحانه وتعالى .

ثانياً : ليس كمثله شيء . .

من خلال التعرّف على الله عبر اسمائه وآياته يتم الايمان به بأنه هو العزيز ولا عزيز غيره وأنه واحد احد فردٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، وإنه لا يشبه ولا يشبهه احد في كل ما يختصّ به من صفاته وأسمائه ، وانه لايحدّ بحد ولا يؤيّن بأين ولا يقاس ولا يدرك بالحواس ، وأنه هو الله الذي ليس كمثله شيء .

(هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إذَا ارْتَمَتِ الأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ ، وَحَاوَلَ الفِكْرُ المُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَات غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ ، وَتَوَلَّهتِ القُلوبُ إلَيْهِ ، لِتجْرِيَ فِي كَيفِيَّةِ صِفَاتِهِ ، وَغَمَضتْ مَدَاخِلُ العُقولِ فِي حَيْثُ لا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ ، رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ ، مُتَخَلِّصَةً إلَيْهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَرَجَعَتْ إذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لا يُنَالُ بِجَوْرِ الاِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ ،

وَلا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلالِ عِزَّتِهِ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ ، إذ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمَ ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ القُوَى ، بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وإنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَناهَ فِي العُقُولِ ، فَتَكُونَ مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً ، ولاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِها فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً)[٥] .

« إن الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلاف »[٦] .

ولعلك تسأل ما هو المقصود من الوهم ؟

سُئل الرضا عليه السلام عن التّوهم خلقٌ هو ام غير خلق ؟ قال عليه السلام : « بل هو خلق ساكن لا يدرك بالسكون ، وإنما صار خلقاً لأنه شيء محدث ، اللهالذي احدثه فلمّا سمّي شيء صار خلقاً ، وإنما هو الله وخلقه لا ثالث غيرهما وقد يكون الخلق ساكناً ومتحركاً ومختلفاً ومؤتلفاً ومعلوماً ومتشابهاً وكلّما وقع عليه اسم خلق شيء فهو خلق .

---

(٥) نهج البلاغة .

(٦) بحار الانوار ج٣ ص ٢٩٠ .

قال السائل: اخبرني نوحد الله بحقيقة ام نوحده بوصف؟

فقال عليه السلام : « واعلم انه لا يكون صفة لغير موصوف ولا اسمٌ لغير معنى ، ولا حدٌ لغير محدود والاسماء والصفات كلها تدّل على الكمال والوجد ولا تدّل على الإحاطه كما تدلّ على الوجود الذي هو التربيع والتدوير والتثليث لأنه الله يدرك بالاسماء والصفات ولا يدرك بالتحديد ، فليس ينزل بالله شيء من ذلك حتّى يعرفه خلقه معرفتهم أنفسهم ولو كانت صفاته لا تدّل عليه وأسماؤه لا تدعوا اليه لكانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه ولو كان كذلك كان المعبود الواحد غير الله لأن صفاته غيره » . .

جذور مسألة الرؤية

إن مسألة الرؤية طرحت بين المسلمين من جانب الاحبار والرهبان بتدليس خاص . فإن اهل الكتاب يدينون برؤيته سبحانه ، ويظهر ذلك لمن راجع العهد القديم وإليك مقتطفات منه :

١ / « رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ . . فقلت : ويلٌ لي لأن عينيّ قد رأتا الملك ربّ الجنود » (إشعيا ٦ : ١ ـ ٦) والمقصود من السيد هو الله جل ذكره .

٢ / « كنت ارى أنه وُضعت عروش وجلس القديم الايام . لباسه ابيض كالثلج ، وشعر راسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار » (دانيال : ٧ : ٩ » .

٣ / « أما أنا فبالبّر أنظر وجهك » (مزامير داود ١٧ : ١٥)

٤ / « فقال منوح لامرأته : نموت موتاً لأننا قد رأينا الله » (القضاة ١٣:) .

٥ / « فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب ، إله

إسرائيل الذي تراءى له مرتين » (الملوك الاول : ١١) .

٦/ « قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند البحار وقوفٌ لديه » (الملوك الاول : ٢٢) .

٧/ « كان في سنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وأنا بين المسبيين عند نهر خابور ، إنَّ السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله . . الى أن قال : هذا منظر شبه مجد الرب ولما رأيته خررت على وجهي وسمعت صوت متكلم » (حزقيال) .

والقائلون بالرؤية من المسلمين ، وإن إستندوا الى الكتاب والسنَّة ودليل العقل لكن غالب الظن أنَّ القول بها تسربَّ الى اوساطهم من المتظاهرين بالاسلام كالأحبار والرهبان ، وربما صاروا مصدراً لبعض الاحاديث في المقام وصار ذلك سبباً لجرأة طوائف من المسلمين على جوازها ، واستدعاء الأدلة عليها من العقل والنقل .[٧]

---

(٧) الالهيات / ص ٤٨٢ .

هل ان الله يرى ؟

سُئل علي عليه السلام : هل رأيت ربّك ياأمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : أفأعبد مالا أرى ؟ قال : وكيف تراه ؟ قال (ع) : لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان ، قريب من الأشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مبائن ، متكلم لا برويّة ، ومريد بلا همّة ، صانع لابجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، بصير لا يوصف بالحساسّية ، رحيم لا يوصف بالرقّة ، تعنو الوجوه لعظمته ، وتجب القلوب من مخافته .[8]

إن من ادعى بأن الله يرى قد أخطـأ ولم يصـب في التفكير والقول ، ذلك لأن حقيقة الله عزّ وجل ليست بجسم ولا كيفية ، ولو كانت كذلك لحدّت فيه قدرته وإرادته وكلّ صفة يتصف بها . ذلك لأنه ما تنظر اليه العين فقد يحد فلو نظرت الى هذا الكتاب الذي بين يديك فإنك وبلا شك سوف تحده وتحجّمه من كل الجوانب . وأقول لمن ادعى الرؤيه هل رأى الله ؟ ام هل اخبره احدٌ بأنه قد رأى الله ؟ .

لا يخفى علينا بأن قوم موسى عليه السلام طلبوا منه بأن يرهم الله جهرةً حتّى يؤمنوا به .

---

(٨) بحار الانوار ج٤ ص ٥٢ .

﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقةُ بظلمهم﴾[9] .

اعلم انه لو كانت رؤيته جائزة كان حقاً عليه أن يريهم نفسه حتّى يؤمنوا به . ولكن لإستحالـة الرؤية انظر ماذا صنع الله بهم لمجرد انهم سألوا نبيّه بأن يريهم الله فدمرّهم ربهم بالصاعقة لظلمهم ، فلو جازت رؤيته سبحانه وتعالى لما إستحقوا الذّم ولما وصفوا بالظلم لمجرّد السؤال . ولو جازت رؤيته عزّ وجل لرآه نبيّه موسى عليه السلام عندما سأله .

﴿قال ربي أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني . فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾[10] .

ربّما يسأل البعض ، الم يكن يعلم نبي الله موسى (ع) إن الله لا يرى ؟

---

(٩) النساء ١٥٣ .

(١٠) « جعله دكاً » في حال تزلزله وتدكدكه. ومعناه انه لا تراني ابداً لأن الجبل لا يكون ساكناً متحركاً في حال ابدا وهذا مثل قوله تعالى ﴿ لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ﴾ وقول موسى ﴿ وانا اول المؤمنين ﴾ اي اني انا اول مؤمن من القوم الذين كانوا معه بأنك لا ترى .

نعم كان يعلم النبي موسى (ع) بأن الله لا يرى ولكن لإصرار قومه عليه بأن يريهم الله ، فطلب من الله بأن يريه نفسه وهو يعلم بأن الله لا يرى لقوله « وأنا اول المؤمنين » ولكن ليبين لقومه بأن الله لا يرى فنراه قال بعد ذلك ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا﴾ .

أنه لا يرى :

دخل على ابي جعفر الباقر عليه السلام . رجلٌ من الخوارج فقال :

« ياابا جعفر ايّ شيء تعبد ؟ قال (ع) : الله ، قال : رأيته ؟ قال (ع) : لم تره العيون بمشاهد العيان ورأته القلوب بحقائق الايمان ، لايعرف بالقياس ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يُشبّهُ بالناس ، موصوف بالآيات ، معروفٌ بالعلامات ، لا يجوز في حكمه ، ذلك الله لا إله الاّ هو »[11]

إن الله عزّ وجل لم يره احد ، وانه لم تحط به النواظر ، ولم تقع الاوهام له على صفه ، لضيقها ولقصر نظرتها ، وحتّى القلوب لم تعقد له على كيفية ، وإنه لا يرى بالأفئدة ولا بالابصار ولا تحيط به الاوهام ، ولو أُمكنت رؤيته جل وعلى لكان النظر المحيط به اوسع منه فالأوسع اولى بالربوبية ، وحينئذٍ فإن كان النظر واجباً وقديماً تعدد القدماء وإن كان حادثاً ومخلوقاً ، كيف يمكن رؤية المخلوق لخالقه والحادث للقديم ؟ ولا مثال له في مصنوعات الدنيا فسبحانه هو الله جلّتْ قدرته وعظم شأنه .

يريدون أن يقيسوا الله بعظمته وقدرته وجلاله بأنفسهم فقالوا إنه

---

(١١) بحار الانوار ج٤ ص ٢٦ .

يرى ، واكبر من هذا قال بعضهم إنه قد رأى الله عياناً ، ووصفوه وكأنهم يصفون مخلوقاً من المخلوقات ، ولا يعلمون أن المخلوقات قاصرة ناقصه ؟ أوَ تعلم ما هي ادلّة مجوزي الرؤية ؟ يقولون ان القرآن الكريم يذكر أن محمداً (ص) رأى الله عندما عرج به الى السماء . في قوله عزّ وجل . « ولقد رآه نزلة اخرى » . ونجيبهم بما جاء عن الرضا عليه السلام : (إن بعد هذه الآية ما يدل على انّه لم يره ، حيث قال : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما راى** ﴾ . اي ما كذّب فؤاد محمد ، وما رأت عيناه ، ثم اخبر بما رأى ، وقال : ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ ، وآيات الله غير الله ، وقد قال : ﴿ **ولا يحيطون به علماً** ﴾ ، واذا رأته الابصار فقد احاطت به علماً)[١٢] وكذلك يفند الامام قول من زعم بأن النبي محمداً (ص) قال إنه رأى ربّه ، عندما سئل فقال عليه السلام : (فمن المبلغ عن الله الى الثقلين من الجن والانس . « لا تدركه الأبصار » . « ولا يحيطون به علماً » . « ليس كمثله شيء » . اليس محمداً (ص) ؟ قال أبو قرّه : بلى . قال الامام (ع) كيف يجيىء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم الى الله بامر الله فيقول : لا تدركه الابصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء . ثم يقول أنا رأيته بعيني ، وأحطت به علماًوهو على صورة بشر ؟ أما يستحون ، ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا) .

وقالوا أشدّ من ذلك من اقاويل باطلة ، ففيها قالوا عندما سألوا

---

(١٢) كتاب التوحيد ج ١ ص ٩٨ .

الامام الرضا عليه السلام . قالوا : إنّه أجوف الى السرّة والباقي صمد ، فخرّ ساجداً ثمَّ قال : سبحانك ما عرفوك ولا وحّدوك فمن أجل ذلك وصفوك ، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك ، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن شّبهوك بغيرك إلهي لا أصفك إلّا بما وصفت به نفسك ، ولا أُشبّهك بخلقك ، انت أهل لكلّ خير ، فلا تجعلني من القوم الظالمين .

ثمَّ التفت إلينا فقال : ما توهّمتم من شيء فتوهّموا الله غيره . ثمَّ قال : نحن آل محمّد النمط الوسطى الّذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي ، يامحمد إنّ رسول الله (ص) حين نظر الى عظمة ربّه كان في هيئة الشاب الموفق وسنّ أبناء ثلاثين سنة ، يامحمّد عظم ربّي وجلّ أن يكون في صفة المخلوقين .

قال : قلت : جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة ؟ قال : ذاك محمّد (ص) كان إذا نظر الى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب ، إنّ نور الله منه اخضر ما اخضرّ ، ومنه احمر ما احمرّ ، ومنه ابيض ما ابيضّ ، ومنه غير ذلك ، يامحمّد ما شهد به الكتاب والسنّة فنحن القائلون به .)[١٣]

إن الله اعظم من أن يره احد ، ورسول الله (ص) اراه الله من عظيم آياته ما يحب وهذا هو قول رسول الله (ص) : (لمّا أُسري بي

(١٣) بحار الانوار ج ٤ ص ٣٩ .

الى السماء بلغ بي جبرئيل عليه السلام مكاناً لم يطأه جبرئيل قطّ فكشف لي فأراني الله عزَّ وجلَّ من نور عظمته ما أحبّ)[14]

اي انّ رسول الله (ص) لم يـرَ الله عزّوجلّ ، وإنما اراه الله من نور عظمته ، ونور عظمة الله غير الله كما بين لنا الامام الرضا (ع) في الحديث السابق ، ونور عظمته هو آياته ومعجزاته التي لم يطّلع عليها غير رسول الله (ص) احدٌ من البشر .

---

(١٤) بحار الانوار ج ٤ ص ٣٨ .

ولن يرى :

في جوابٍ لأمير المؤمنين عليه السلام قال : وأما قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة ﴾ ذلك في موضع ينتهي فيه أولياءُ الله عزَّ وجلَّ بعد ما يفرغ من الحساب الى نهر يسمّى الحيوان فيغتسلون فيه ويشربون من آخر فتبيّض وجوهم فيذهب عنهم كلُّ قذى ووعث ثمَّ يؤمرون بدخول الجنّة فمن هذا المقام ينظرون الى ربّهم كيف يثيبهم ، ومنه يدخلون الجنّة فذلك قوله عزَّوجلَّ في تسليم الملائكة عليهم : ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ فعند ذلك أُثيبوا بدخول الجنّة والنظر الى ما وعدهم الله عزَّ وجلَّ ، فذلك قوله : ﴿ الى ربّها ناظرة ﴾ والناظرة في بعض اللّغة هي المنتظرة ، الم تسمع الى قوله تعالى : ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ أي منتظرة بمَّ يرجع المرسلون .[١٥]

إنه عزَّ وجلَّ لا يُرى في الدنيا ولن يُرى في الآخرة ، لأنه ما لا يكون جسماً ولا حالاً في الجسم ولا مختصاً في جهة ولا في مكان لا يمكن رؤيته ، وبمثال بسيط وبدون تشبيه ، هل لك أن ترى الهواء ؟ أو ترى الكلام الذي تنطقه ؟ وهل ترى تفكيرك او وهمك ؟ واخبرني هل لك أن ترى التيار الكهربائي المار في سلك الكهرباء ؟ او انك ترى آلامك في جسمك او في جروحك ؟

---

(١٥) بحار الانوار ج ٤ ص ٣٢ .

بالطبع إنك لا ترى ايّ شيء من هذا كله ولكنك ترى آثارها الناجمة عنها ، فمثلاً اثر التيار الكهربائي المار في الاسلاك هو إضاءة المصباح او دوران المكيف او المروحة ، وآثار ألَمْك هو جرحك أو تغيّر لونك او اثره السلبي على جسمك . اليس كذلك ؟ مع العلم أن كلّ هذه الامور اشياءٌ مخلوقة فكيف بالله عزَّ وجلَّ الذي لا تحويه الاوهام ولا تدركه الابصار والذي ليس كمثله شيء .

ولو جازة رؤيته عزَّ وجلَّ في الاخرة لما استحالت رؤيته في الدنيا ، وهذا القول مخالف للقرآن ومخالفٌ لقول الله عزّ وجلّ ﴿ **لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ إن هذه الأية تخبر بأن الله عزَّ وجلَّ لا يرى سواءً الآن او في ايّ وقت ، لأنّها خصت الرؤية ولم تلزمها بوقت ، أي أن رؤيته سبحانه وتعالى محالة سواءً كانت هذه الرؤية الآن او مستقبلاً في الدنيا او في الأخرة . ولو جازت رؤيته في الأخرة أو في الجنّة كما زعم القائلون بالرؤية للزم بطلان هذه الأية والعياذ بالله من هذا القول ، وهذا محال . فعن الرضا (ع) عندما سُئل في قول الله عزّوجل (﴿ **وجوه يومئذٍ ناضرة الى ربها ناظرة** ﴾ قال (ع) : يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها)[١٦] .

وما ذكره عليه السلام في هذا الخبر من أن المراد بالناظرة المنتظرة كقول الله عزَّ وجلَّ ﴿ **فناظرة بم يرجع المرسلون** ﴾ اي منتظرة رجوع

---

(١٦) بحار الانوار ج ٤ ص ٢٨ .

المرسلين .

ومن يقول بأنّ المؤمنين ينظرون الى ربهم اي يرونه يوم القيامة او في الجنة ، فهذا غير صحيح لأن النظر في اللغة لا يفيد الرؤية وذلك لعدة امور .

أولاً : إن النظر اذا عُلّق بالعين افاد طلب الرؤية ، كما اذا عُلّق بالقلب افاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت الى الهلال فلم أره . فلو افاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطاً متناقضاً .

ثانياً : لو كان النظر بمعنى الرؤية لبطل ما يقوله العرب . ما زلت انظر اليه حتّى رؤيته . والسبب في ذلك إنه يسلزم جعل الشيء غاية لنفسه ، فيكون معنى هذا القول . ما زلت اراه حتّى رؤيته . وجعل الشيء غاية لنفسه ممتنع .

ثالثاً : إننا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة ، ولا نعلمه رائياً بالضرورة بدلالة نسئل الناظر هل رأيت ام لا . مثل ذلك الرجل الذي تتيه عنه ضالة ينظر يميناً شمالاً ، فنسأله هل رأيت ضالتك واذا لم يكن النظر بمعنى الرؤية فلابد انه اراد معناً آخر ، وهو ما جاء به الحديث الشريف الذي وضح لنا المعنى .

هل هو جسم

إن مسألة التجسيم لا تنفصل عن مسألة الرؤية ، الاّ اننا ارتأينا أن نخصص لها باباً حتّى نوضح بعض الامور المتعلقة بها . وللدخول في الموضوع نسأل بعض الاسئلة التي ربما يسألها البعض . .

لو قلنا بان الله جسم فما هي صفاته ؟ ولو قلنا بأنه ليس بجسم ، فلماذا ؟ وبالتالي كيف هو الله ؟

حقيقةٌ لا بد منها :

جرت سنّت الله عزَّ وجلَّ في خلقه أن كل شيء مخلوق له حدٌ وإطار ، وله نهاية ينتهي من خلالها . فالإنسان مهما عاش في هذه الدنيا فإن الموت سوف يدركه ، والدار المعمّرة لاتتجاوز نهايتها ، والليل لايمكن أن يأخذ ساعات اليوم كلّها كما انه النهاركذلك، والبصر حدّه ما ينتهي اليه من الرؤية ، والكلام نهايته ما ينتهي به القول ، وكما أن الظلم لا يمكن أن يدوم ولو طال كذلك الحق المظلوم إنه المنتصر ولو بعد حين ، وهذا الكون لا يمكن أن يبقى ولو طال عمره

فإنه فانٍ بمن فيه . وهذه الحقيقة يخبرنا بها كل شيء في هذا العالم انه فانٍ ﴿ كل من عليها فان ﴾ ﴿ يوم نأتِ الارض ننقصها من اطرافها ﴾ وفي الدعاء المؤثور عن امير المؤمنين عليه السلام (يا من توحّد بالعزّ والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء) . ويرجع سبب ذلك الى انه كل شيء محدود بذاته وصفاته ومحدوديته هي التي تنهيه . فعلى ذلك فالعقل البشريّ يخبر بأن كل جسم محدود لا بد له من نهاية تتربّص به ، وإنه في نقصان مستمر حتى توافيه منيته ونهايته ، وكما يخبرنا العقل بأن كل جسم محدود في الجسميّة إنه محدود في صفاته وفي كلّ شيء يتعلق به ، فعلى سبيل المثال جسم الإنسان محدود في شكله فلذلك نرى محدوديّة قدرته وقُوّتُهُ وتحّمله ، وقس على ذلك سائر الأشياء الموجودة. فما دمنا قد عرفنا أن كل جسم له نهاية تتربص به ، وانه محدود الصفات . فهل يمكن القول بعد هذا أن الله عزّ وجلّ جسم ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فلو قلنا كذلك فإن صفة الاجسام لا بد أن تحيطه ، أي انه ينتهي ويزول ويتناقص شيئاً فشيئاً ، تعلى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولو حددناه بجسم فإننا بذلك قد حدّدنا إرادته وقدرته وعلمه وعظمته وكل صفة يتصف بها . أليس كذلك ؟ وبهذا قد ساوينا ما بين الخالق والمخلوق ولأصبحت الصفات ما بينهما مشتركة ، فما للخالق من قدرة فإن للمخلوق مثلها لأنهما متشابهان متساويان ، وهذا ليس صحيحاً . إذاً كيف هو الله؟

إنه عزّ وجلّ ليس بجسم ولا بصورة ، ولا هو كسائر الاشياء وانه

فوقها ، وليس له حدٌ يُحَدُّ به ولا شكلٌ يعرف به . (الْحَمْدُ لِلهِ الكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ . لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ ، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً ، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ . بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ ، فَصِفْ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ[١٧] .

لو لاحظت أن ما ذكره الامام عليه السلام من صفات ينفيها عن الله هي صفات المخلوقين ، ولأن عقول البشر لم تطّلع على اكثر من هذا فنراهم يصفونه بما فيهم وبما هم متصفون به .

وهذا علي بن موسى الرضا عليهما السلام يجيب عن سائل سأله بأن يوصف ربّه فقال(ع) : (إنه من يصف ربّه بالقياس لا يزال الدهر في

---

(١٧) نهج البلاغة .

التباس ، مائلاً عن المنهاج ، ظاعناً في الاعوجاج ، ضالاً عن السبيل ، قائلاً غير الجميل ، اعرفه بما عّرف نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بغير تشبيه ، ومتدانٍ في بعده لا بنظير ، لا يمثل بخليقته ، ولا يجوز في قضيته ، الخلق الى ما علم منقادون ، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون ، لايعلمون خلاف ما علم ولا غيره يريدون ، فهو قريب غير ملتزق ، وبعيد غير متقصّ ، يُحقق ولا يمثّل ، ويوحد ولا يبعض ، يعرف بالآيات ويثبت بالعلامات فلا إله غيره الكبير المتعال)[١٨] .

أوَ تَعلم من اين يبدأ الخطأ ؟ انه عندما يعرّف الانسان ربّه بما هو يهواه لا بما يصف الله به نفسه ،فتراه يقيسه بنفسه ويحجمه بجسم ويصوره بصورٍ ما انزل الله بها من سلطان . وما ذكره الامام عليه السلام من صفات الله عزَّ وجلَّ انما هي ما وصف الله بها نفسه حتىّ لا يتكلف البشر بوضع صفات لخالقهم ، وحتى لا يتوهم الآخرون ويصورونه بصورٍ من عقولهم الناقصة الضيقة التي لم يؤذن لها أن تطرق هذا الباب .

واعلم ايها الانسان مهما فعلت ومهما حاولت من اجل الوصول الى معرفة كيفيّة الله عزَّ وجلَّ فإنك لن تصل الى شيء لأن الطريق امامك

(١٨) بحار الانوار ج ٣ ص ٢٩٧ .

مسدود . وإنه لا يعلم كيف هو الاّ هو عزَّ وجلَّ . (سبحان من لا يعلم احد كيف هو الاّ هو ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، لايحد ولا يحس ، ولا تدركه الابصار ، ولا يحيط به شيء ، ولا هو جسم ولا صورة ولا هو بذي تخنيط ولا تحديد) .

كلّ هذه التوهمات الفارغة التي توهمها بعض البشر سببها انهم رأوا قدرة الله وعظمته في خلقه وهيبته في صنعه ، فلم يدروا كيف يكون هذا الخالق القادر وكيف هي صفاته ، فوضعوا تصورات جاهلة لهذه العظمة فبدل أن يجعلوها عظيمة قاسوها بأنفسهم ، وهذا كله راجع الى جهلهم بهيئته كما يقول الرضا عليه السلام : (إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئتك فجهلوك ، وبه قدروك والتقدير على غير ما به وصفوك ، وإني يا الهي بريءٌ من الذين بالتشبيه طلبوك ، وفي خلقك يا الهي مندوحة أن يتناولوك ، بل سووك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك وإتخذوا بعض آياتك ربّا فبذلك وصفوك ، تعاليت ربي عمّا به المشبهون نعتوك) .

نعـم ياالهي بان جمال قدرتك من خلق السماوات والارضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن وما فوقهن ، وبانت عظمتك في الابداع والخلق ، وبانت صفاتك الإلهية الى الناس فرأوها ولم تبد هيئتك فجهل الناس وصفك فوصفوك بما لم تصف به نفسك ، فبالجهل وصفوك وقدّروك بما قدّروا به من المقادير الجسمانية ينافي ما وصفوك به من الربوبية ، الهي إن التفكير في الخلق يكفي في أن ينسبوا اليك هذه

الاوصاف . وسبب جهلهم بك ياالهي انهم سووك بالخلق وكأنك احدهم وإتخذوا بعض آيات القرآن صفات لك مثل قولك : ﴿ يدُ الله فوق ايديهم ﴾ او قولك ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ فجهلوا من انك تريد أن تقربّ لهم معنى القوة فمثلتها باليد لجهلهم قاسوا كل شيء بالمادة .

سُمِعَ الامام موسى بن جعفر (ع) يقول : (إن الله تبارك وتعالى أنزل على عبده محمد (ص) انه لا اله الاّ هو الحّي القيوم ، ويسمى بهذه الاسماء ، الرحمن الرحيم العزيز الجبار العلي العظيم ، فتاهت هنالك عقولهم ، وإستخفّت حلومهم فضربوا له الامثال ، وجعلوا له أنداداً ، وشبهوه بالامثال ، ومثلوه اشباهاً ، وجعلوه يزول ويحول ، فتاهوا في بحر عميق لا يدرون ماغوره ولا يدركون كنه بُعده)[١٩] .

نعم وصفوه لأنهم جهلوه كما يجهل الانسان شيئاً لم يحط به علماً من قبل . فلو انك ذهبت الى نفرٍ من الناس وتحدثت معهم عن شخصٍ غريب عنهم لا يعرفونه ولم يروه من قبل ، ستجدهم يميلون بأنفسهم ليتوصلوا الى معرفة هذا الشخص الغريب عنهم ، وسوف يصفونه بما ليس فيه وسيكثرون الكلام فيه . هذا بالنسبة الى الإنسان والانسان ، فكيف بالنسبة الى الانسان وربه ؟ وبدون تشبيه له في كل مصنوعاته . كذلك تاهت العقول عندما جاءهم الرسول (ص) واخبرهم بأسماء الله تعالى ، فتراهم قد شبّهوه بخلقه ووصفوه بغير ما

---

(١٩) بحار الانوار ج ٣ ص ٢٩٦ .

فيه وكثرت اقوالهم وتخرّفاتهم وتاهوا في أبحر الغيّ والظلام .

فحينما نتأمل في معتقدات بعض المذاهب الاسلامية في الله عزّوجل وصفاته وما توصلت اليه أوهامهم وتصوراتهم ، نقف وقفة المستغرب المتعصب لما ذهبوا إليه عبر تفسيراتهم وأوهامهم الجاهلية ، ومما توصلت إليه عقولهم القاصرة عن بلوغ الحقيقة . إنهم جسّموا الله ، وحدّوه بحدّ ، وكيفوه بكيف ! فزعموا بأن لله يداً وأن له وجهاً وعيناً ورجلاً ! !

بالله أسأل هذه الفئة التي أضاعها وهمها في أبحــر الضلال . اوليس إعتقادهم هذا كاعتقاد المسيحيين بدينهم ؟ إنهم يؤمنون بالتثليث والوحدانية في آن واحد ! أوليس هذا تناقضاً ؟

يقولون لله يد ولكن هذه اليد بلا كيفيّة ، ولله وجه ولكن بلا كيفيّة ، وله عين وهذه العين كذلك بلا كيفيّة ، وله رجل وهي بلا كيفيّة . بالله عليكم كيف يكون ما يقولون والكيفيّة من مستلزمات التجسيم ؟ والتجسيم كفرٌ محض قد إتفق عليه جميع المسلمين . فالعين من مستلزمات الكيفيّة ، والرجل والوجه وسائر الاعضاء إنها من مستلزمات التجسيم ، فكيف تكون له عين ورجل او يكون له وجه او . . . او . . من دون كيف ؟ إن الكيفيّة للعين من مستلزمات هذا الوجود . اوليس زعمهم هذا يحمل في طياته التناقض ؟

وزعموا اكثر من هذا بقولهم إن لله مجيئاً وذهاباً ، وإستدلوا بقولهم هذا وما قبله ببعض الآيات القرآنية التي فسّروها بظواهرها ،

كقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفا ﴾ [20] **وقوله ﴿ يدُ الله فوق أيديهم ﴾** [21] **و﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾** [22] **﴿ ثم استوى على العرش ﴾ ﴿ ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾** [23] .

إنهم وللأسف الشديد لا يعرفون حتّى أولويّات اللغة العربية ، لأن اللغة العربية تحمل في طياتها المعاني العميقة وتحمل فيها ما تحمل من الإستعارات والكنايات ، بالإضافة الى الحقيقة والمجاز . فكيف يفسرون كل الامور حسب ظاهرها ؟ إن الألفاظ تفقد ظواهرها التجسيدية لتبقى حقائقها عند الحديث عن الله عزّوجل فإن التعبير بالمجيء في الآية الاولى إنما هو للدلالة على مجيء أمر الله العظيم في يوم القيامة ، والتعبير باليد في الآية الثانية للدلالة على القوّة والقدرة ، وفي الآية الثالثة للدلالة على العطاء ، وفي الآية الرابعة للدلالة على الاحاطة والسيطرة ، وفي الآية الخامسة للدلالة على بقاء دين الله عزّوجل كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام : (وأما قوله **﴿ كل شيء هالك الا وجهه ﴾** فالمراد كل شيء هالك إلّا دينه) [24] .

---

(٢٠) سورة الفجر آية ٢٢ .

(٢١) سورة الفتح آية ١٠ .

(٢٢) سورة المائدة آية ٦٤ .

(٢٣) سورة الرحمن آية ٢٧ .

(٢٤) نور الثقلين ص ١٩٢ نقلاً عن الإحتجاج .

وأسأل . لو أن الله سبحانه وتعالى خاطبنا بلغة غير هذه ، وبتشبيهات غير التي شبهها لنا ، هل لعقولنا القاصرة البسيطة أن تستوعبها ؟ أو هل لها أن تتّعرف عليها ؟

إن الله عزّوجل حينما خاطبنا بهذا الخطاب إنما اراد به تقريب المعنى لا أن نشبهه بخلقه .

فبهذا التناقض الفكري ، وبهذه السطحية في التفكير والفهم ، وبهذه التفسيرات الظاهرية إبتعد هؤلاء عن حقيقة معرفة الله عزّوجل وانظر ماذا زعمه بعضهم بقوله : بأن الله جسم لكن ماذا ؟ ليس كمثله شيء ، عالم سميع بصير ، قادر متكلم ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقاً . ولنسمع ماذا يجيبه الامام ابو ابراهيم (ع) : (أما علم ان الجسم محدود والكلام غير المتكلم ، معاذ الله وابرء الى الله من هذا القول ، لاجسم ولا صوره ولا تحديد ، وكلّ شيء سواه مخلوق ، وإنما تكون الاشياء بإرادته ، ومشيئته من غير كلام ولا تردّد في نفس ولا نطق بلسان) .

مهما فكروا ومهما قالوا فإنهم لن يخرجوا عن مستوى عقولهم الضيقة الناقصة ،ولن يصفوا الله بأكثر من وصفهم لأنفسهم . فيريد أن يبين عظمة الله فيقول أنه جسم لكن ليس كالأجسام ، أوَلا يعلم هذا إن الاجسام محدودة . وإن كل شيء مخلوق سوى الله وصفاته عين ذاته فهو عالم قادرٌ قويٌ ... منذ الازل .

روي عن امير المؤمنين (ع) أنه قال له رجل : اين المعبود ؟ فقال

عليه السلام .(لايقال له اين لأنّه أيّن الأينيّة ، ولا يقال له كيف لأنّه كيّف الكيفيّة ، ولا يقال له ما هو لأنه خلق الماهيّة ، سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيّار امواج عظمته ، وحصرت الالباب عند ذكر أزليّته ، وتحيّرت العقول في افلاك ملكوته)[٢٥] .

ربّما يسأل سائل ، انه كيف ينّزل الله عزَّ وجلّ على رسوله ما يريده ؟ وكيف يخبر الوحي ؟ وكيف يخلقه ؟

الجواب .

انك حينما تفكّر او تخطر ببالك فكره هل تكلّم بها لسانك ؟ او تحركت بها شفتاك ؟ وبدون قياس بين الخالق والمخلوق . إن الله عزَّ وجلَّ حينما يريد شيئاً إنما ﴿ **يقول له كن فيكون** ﴾ وبكن فيكون اي بهذا الامر يعلم الوحي ويكون ما أراده الله . وقد جاء في الحديث عن الامام الصادق(ع) قال :(خلق الله المشيئة وبالمشيئة خلق كل شيء) . وهذه المشيئة ماهي إلّا أمر الله عزّ وجل الذي خلق به كل شيء . فهل المشيئة جسم ؟ او هل يمكنك أن تصفها بشيء غير انها الإرادة ؟

لكن السبب يرجع الى ابتعاد هؤلاء عن المنهل الصحيح والطريق القويم ، الذي جعله الله عزوجل نوراً للبرية وقد أكد عليه رسول الله (ص) في قوله : إن في القرآن المحكم والمتشابه﴿ **هو الذي انزل**

---

(٢٥) بحار الانوار ج ٣ ص ٢٩٨ .

عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ ام الكتاب وأخر متشابهات ﴾ وللقرآن ظهور وبطون ، فقد قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : « إن للقرآن بطناً وللبطن بطناً وظهراً وللظهر ظهراً » .

فكيف نميز بين المحكم والمتشابه ؟ وكيف نعرف البطون والظهور ؟ وكيف نتعمق في فهم القرآن إن لم نستقِ العلم والتوجيه ممن خصّهم الله وأكد عليهم رسوله (ص) . إن الرسول (ص) قرنهم بالقرآن وقرن القرآن بهم ، فهم والقرآن خطٌ واحدٌ للإرشاد والتوجيه في الامة إن أخذنا بأحدهما دون الآخر فلن نصل الى الحقيقة ، لأنه وكما جاء في الحديث المروي عن رسول الله (ص) قد قيد فيه التمسك بهما لا بأحدهما (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي) ، وهذه دلالة على الإرتباط العميق بين القرآن وهو مصدر الاحكام وبين العترة الطاهرة وهي الدليل الى الاحكام والموجه والموضح لها . فإن أردنا أن نعرف الله عزّ وجل حق معرفته فإننا لن نجد طريقاً غير طريق أهل البيت عليهم افضل الصلاة وأزكى السلام يدلنا على المعرفة ، لأنهم عرفوا الله حق معرفته فعرّفوه لنا كما عّرف نفسه . وعلمهم عليهم السلام ليس الاّ من علم رسول الله (ص) الذي علمه الله إياه . فقد قال (ص) عنهم (ع) : « من سرّ أن يحيى حياتي ويموت مماتي ، ويسكن جنّة عدنٍ غرسها ربي ، فليوالي علياً من بعدي ، وليوالي وليّه ، وليقتدي بأهل بيتي من

بعدي ، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ، ورُزِقوا فهمي وعلمي ، فويلٌ للمكذبين بفضلهم من امتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي »[٢٦] .

---

(٢٦) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ ـ الطبراني في الجامع الكبير ، الإصابة لإبن حجر العسقلاني ، كنز العمال ج ص ١٥٥ ، المناقب للخوارزمي ص ٣٤ ، ينابيع المودّة ص ١٤٩ ، حلية الأولياء ج ١ ص ٨٦ ، تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٩٥ . .

احاديث في الرؤية والتجسيم

في هذا الباب قد جمعنا بعض الأحاديث المرويّة عن أئمة الهدى عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام .

احاديث في الرؤية

الدنيا والآخرة

عن هشام قال كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبدالملك بن أعين ، فقال له معاوية ابن وهب : يا ابن رسول الله ما تقول في الخبر الذي روي أنّ رسول الله (ص) رأى ربه على ايّ صورة رآه ؟ وعن الحديث الذي رووه أنّ المؤمنين يرون ربهم في الجنة ؟ على أي صورة يرونه ؟ .

فتبسم عليه السلام ثم قال : يا معاوية ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنةأو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته .

ثم قال عليه السلام : يا معاوية إنّ محمداً (ص) لم ير الربّ تبارك وتعالى بمشاهدة العيان وإنّ الرؤية على وجهين : رؤية القلب ورؤية البصر ، فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته ، لقول رسول الله : من شبّه الله بخلقه فقد كفر . ولقد حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن الحسين بن عليّ قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل : ياأخا رسول الله هل رأيت ربّك ؟ فقال : وكيف أعبد من لم أره ؟ لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان فإذا كان المؤمن يرى ربّه بمشاهدة البصر فإنّ كلّ من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق ، ولا بدّ للمخلوق من

الخالق ، فقد جعلته إذاً محدّثاً مخلوقاً ، ومن شبّهه بخلقه فقد اتّخذ مع الله شريكاً ويلهم أولم يسمعوا قـول الله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير ﴾ وقوله : ﴿ لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً ﴾ ؟ وإنّما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سمّ الخياط فدكدكت الأرض وصعقت الجبال ﴿ فخـرّ موسى صعقاً ﴾ أي ميّتاً ﴿ فلمّا أفاق ﴾ وردّ عليه روحه ﴿ قال سبحانك تبت اليك ﴾ من قول من زعم أنّك ترى ، ورجعت الى معرفتي بك أنّ الأبصار لا تدركل ﴿ وأنا أوّل المؤمنين ﴾ وأوّل المقرّين بأنّك تَرى ولا تُرى ، وأنت بالمنظر الأعلى .

ثمّ قال عليه السلام : إنّ أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الربّ والإقرار له بالعبوديّة ، وحدّ المعرفة أن يعرف انّه لا إله غيره ، ولا شبيه له ولا نظير ، وأن يعرف أنّه قديم مثبت موجود غير فقيد . موصوف من غير شبيه ولا مبطل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وبعده معرفة الرسول والشهادة بالنبوّة ، وأدنى معرفة الرسول الإقرار بنبوّته ، وإنّ ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهي فذلك من الله عزّ وجلّ ، وبعده معرفة الإمام الذّي به تأتمّ بنعته وصفته واسمه في حال العسر واليسر ، وأدنى معرفة الإمام أنّه عدل النبيّ إلّا درجة النبوّة ، ووارثه ، وأنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله ، والتسليم له في كلّ أمر ، والردّ إليه ، والأخذ بقوله ، ويعلم أنّ الإمام بعد رسول الله عليٌّ

ابن أبي طالب ، وبعده الحسن ، ثمَّ الحسين ، ثمَّ عليّ بن الحسين ، ثمَّ محمّد بن عليّ ثمّ أنا ، ثمَّ بعدي موسى ابني ، وبعده عليٌّ ابْنه ، وبعد عليّ محمّد ابنه ، وبعد محمّد عليٌّ ابنه ، وبعد عليّ الحسن ابنه ، والحجّة من ولد الحسن . ثمّ قال : يامعاوية جعلت لك أصلاً في هذا فاعمل عليه ، فلو كنت تموت على ما كنت عليه لكان حالك أسوأ الأحوال فلا يغرّنك قول من زعم أنّ الله تعالى يُرى بالبصر ، قال : وقد قالوا أعجب من هذا ، أولم ينسبوا آدم عليه السلام الى المكروه ؟ أولم ينسبوا إبراهيم عليه السلام الى ما نسبوه ؟ أولم ينسبوا داود عليه السلام الى ما نسبوه من حديث الطير ؟ اولم ينسبوا يوسف الصديق الى ما نسبوه من حديث زليخا ؟ أولم ينسبوا موسى عليه السلام الى ما نسبوه من القتل ؟ أولم ينسبوا رسول الله عليه السلام الى ما نسبوه من حديث زيد ؟ أولم ينسبوا علي بن ابي طالب عليه السلام الى ما نسبوه من حديث القطيفة ؟ إنّهم أرادوا بذلك توبيخ الاسلام ليرجعوا على أعقابهم أعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً[٢٧] .

عن محمّد بن عبيدة قال : كتبت الى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن الرؤية وما ترويه العامّة والخاصّة ، وسألته أن يشرح لي ذلك .

---

(٢٧) بحار الانوار ج ٤ ص ٥٤ .

فكتب عليه السلام بخطّه : اتّفق الجميع لا تمانع بيتهم أنّ المعرفة من جهة الرؤية ضرورة ، فاذا جاز أن يرى الله عزّوجلّ بالعين وقعت المعرفة ضرورةً ، ثمّ لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيماناً اوليست بإيمان فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيماناً فالمعرفة التّي في دار الدنيا من جهة الاكتساب ليست بإيمان ، لأنّها ضدّه فلا يكون في الدنيا أحدٌ مؤمناً ، لأنّهم لم يروا الله عزّ وجلّ ، وإن لم تكن تلك المعرفة التّي من جهة الرؤية إيماناً لم تخل هذه المعرفة التّي من جهة الاكتساب أن تزول أولا تزال في المعاد ، فهذا دليل على أنّ الله عزّ وجلّ لا يرى بالعين إذ العين يؤدّي الى ما وصفناه[٢٨] .

عن الأشعث بن حاتم قال : قال ذو الرياستين : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : جعلت فداك أخبرني عمّا اختلف فيه الناس من الرؤية ، فقال بعضهم لايرى . فقال : ياأباالعباس من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله ، قال الله : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو اللّطيف الخبير ﴾ هذه الأبصار ليست هي الأعين إنّما هي الأبصار التي في القلوب لاتقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو[٢٩] .

عن إبراهيم الكرخي قال : قلت للصادق جعفر بن محمّد عليه

---

(٢٨) بحار الانوار ج ٤ ص ٥٦ .

(٢٩) بحار الانوار ج ٤ ص ٥٣ .

السلام : إنَّ رجلاً رأى ربّه عزَّ وجلَّ في منامه فما يكون ذلك ؟ فقال : ذلك رجل لا دين له إنَّ الله تبارك وتعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة[30] .

عن الرضا عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ قال : لاتدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون[31] .

عن أحمد بن إسحاق قال : كتبت الى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما عن الرؤية ما فيه الناس . فكتب : لا تجوز الرؤية مالم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء عن الرائي والمرئي لم تصحّ الرؤية ، وكان في ذلك الاشتباه لأنّ الرائي متى ساوى المرئيّ في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه ، وكان في ذلك التشبيه ، لأتّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبّباب[32] .

عن أحمد بن إسحاق قال : كتبت الى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام اسأله عن الرؤية وما فيه الخلق فكتب عليه السلام : لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئيِّ هواء ينفذه البصر ، فمتى

---

(٣٠) بحار الانوار ج ٤ ص ٣١ .

(٣١) بحار الانوار ج ٤ ص ٢٩ .

(٣٢) بحار الانوار ج ٤ ص ٣٤ .

انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصحّ الرؤية ، وفي وجوب اتّصال الضياءين الرائي والمرئيّ وجوب الاشتباه ـ وتعالى الله عن الاشتباه ـ فثبت أنّه لا تجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار لأنَّ الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسبّبات[٣٣] .

يبين الامام عليه السلام انه إن كان المرئي جسم فصّحت الرؤية ، ولكن كيف بك إن لم يكن المرئي جسم ، وقد إستدلينا بذلك في باب التجسيم .

روى أهل السير أنّ رجلاً جاء الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : ياأمير المؤمنين أخبرني عن الله أرأيته حين عبدت الله ؟ فقال له أمير المؤمنين : لم أك بالّذي أعبد من لم أره . فقال : كيف رأيته ياأمير المؤمنين ؟ فقال له : ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، معروف بالدلالات ، منعوت بالعلامات ، لايقاس بالناس ، ولا يدرك بالحواسّ . فانصرف الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالاته [٣٤] .

سئل أباعبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لقد رآى من آيات ربّه الكبرى ﴾ قال : رأى جبرئيل على ساقه الدرّ مثل الفطر على البقل له ستّمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض[٣٥] .

---

(٣٣) بحار الانوار ج ٤ ص ٣٤ .

(٣٤) بحار الانوار ج ٤ ص ٣١ .

(٣٥) بحار الانوار ج ٤ ص ٤٣ .

عن إسماعيل بن الفضل قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد ؟ فقال : سبحان الله وتعالى عن ذلك علوًا كبيراً ياابن الفضل إنّ الأبصار لا تدرك إلاّ ماله لون وكيفيّة ، والله خالق الألوان والكيفيّة[٣٦] .

عن الهرويّ قال : قلت لعليّ ابن موسى الرضا عليه السلام : ياابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه أهل الحديث أنّ المؤمنين يزورون ربّهم من منازلهم في الجنّة ؟ فقال عليه السلام ياأباالصلت إنّ الله تبارك وتعالى فضّل نبيه محمّداً (ص) على جميع خلقه من النبّيين والملائكة وجعل طاعته طاعته ومبايعته مبايعته ، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته فقال عزّ وجلّ : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ وقال : ﴿ **إنَّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾ وقال النبيّ (ص) : من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله جلَّ جلاله . ودرجة النبيّ (ص) في الجنّة أرفع الدرجات ، فمن زاره الى درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى . قال : فقلت له : ياابن رسول الله فما معنى الخبر الّذي رووه أنّ ثواب لا إله إلاّ الله النظر الى وجه الله ؟ فقال عليه السلام : ياأباالصلت من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ، ولكن وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم هم الّذين بهم يتوجّه الى الله والى دينه ومعرفته وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ **كلٌّ من عليها فان ويبقى**

---

(٣٦) بحار الانوار ج ٤ ص ٣١ .

وجه ربّك ﴾ وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ كلّ شيء هالك ألا وجهه ﴾ فالنظر الى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة وقد قال النبي (ص) : من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة . وقال(ص) : إنّ فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني ياأباالصلت إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام[٣٧] .

عن بن عباس قال . قدم يهوديّ على رسول الله (ص) . يقال له نعثل : فقال : (يامحمد اني سائلك عن اشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك . فقال(ص) : سل ياأبا عمّاره . فقال : يامحمّد صف لي ربّك ، فقال (ص) : إن الخالق لا يوصف الاّ بما وصف به نفسه ، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواسُّ أن تدركه ، والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تحدّه ، والابصار عن الإحاطة به ، جلّ عمّا يصفه الواصفون ، نأى في قربه ، وقرب في نأيه كيّف الكيفيّه فلا يقال له : كيف ، وأين الأينّيه فلا يقال له : أين ، هو منقطع الكيفوفيّة والأينونيّة ، فهو الاحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد .

قال : صدقت يامحمّد اخبرني عن قولك : إنّه واحد لا شبيه له ، اليس الله واحد وإلانسان واحد ؟ فوحدانيّته اشبهت وحدانّية

---

(٣٧) بحار الانوار ج ٤ ص ٣١ .

الإنسان . فقال (ص) : الله واحد وأحديّ المعنى ، والانسان واحد ثنويّ المعنى ، جسم وعرض ، وبدن وروح ، فإنما التشبيه في المعاني لا غير : قال صدقت يامحمد) .

وما نستخلصه من هذا الحديث الشريف والاجابة الواضحة من رسول الله (ص) . هو الرّد على هؤلاء الضالين الذين قالوا بأن رسول الله رأى ربّه ، اسألهم باالله لو أنه (ص) رأى الله عزّ وجلّ الا ينبغي له آن يجيب بما رأى ؟ اي انه يصف الله بما رآه ؟ ! .

عن ابي الحسن على بن محمّد (ع) انه قال : الهي تاهت اوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت اوصاف الواصفين ، واضمحلّت اقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك ، او الوقوع بالبلوغ الى علوّك ، فأنت الذي لا تتناهى ، ولم يقع عليك عيون بإشارة ولا عباره ، هيهات ثمّ هيهات ياأوّلي ياوحدانيّ يافردانيّ ، شمخت في العلوّ بعزّ الكبر ، وارتفعت من وراء كلّ نحو ونهاية بجبروت الفخر)[٣٨] .

عن جعفر بن محمد الصادق (ع) انه كان يقول :(الحمد لله الذي لا يحسّ ولا يمسّ ولا يدرك بالحواسّ الخمس ، ولا يقع عليه الوهم ، ولا تصفه الألسن ، فكلّ شيءٍ حسّته الحواسّ ، أو جسّته الجواسّ او لمسته الايدي فهو مخلوق ، والله هو العليّ حيث ما يبتغي

---

(٣٨) بحار الانوار ج ٣ ص ٢٩٩ .

يوجد ، والحمد لله الذي كان قبل أن يكون، كان لم يوجد لوصفه كان ، بل كان ازلاً كان كائناً، لم يكَوّنه مكوّن جلّ ثناؤه ، بل كوّن الاشياء قبل كونها فكانت كما كوّنها ، علم ما كان وما هو كائن ، كان إذ لم يكن شيء ، ولم ينطق فيه ناطق ، فكان إذ لا كان)[٣٩]

قال الرضا(ع) ان النبيّ(ص) قال : قال الله جلَّ جلاله ، ما آمن بي من فسّر برؤية كلامي ، وما عرفني من شبهني بخلقي ، ولا على ديني من استعمل القياس في ديني)[٤٠]

وربّما اشار عزَّوجلَّ في قوله ما آمن بي من فسّر برؤية كلامي . ربما عنا كلامه جلّ اسمه مع نبيّه موسى(ع) . أي انه كلّم موسى ولكن بدون رؤية .

قال الصقر بن دلف سألت ابا الحسن على بن محمّد (ع) عن التوحيد وقلت له انّي اقول بمقولة هشام ابن الحكم ، فغضب (ع) ثم قال : (ما لكم ولقول هشام ؟ إنه ليس منّا من زعم أن الله جسم ، ونحن منه براء في الدنيا والاخرة ، ياابن دلف إن الجسم محدث ، والله محدثه ومجسّمه) .

كان ابا أبراهيم موسى بن جعفر (ع) يكلّم راهباً من النصارى فقال له بعض ما ناظره : (إن الله تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يحدّ

---

(٣٩) بحار الانوار ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٤٠) بحار الانوار ج ٣ ص ٢٩١ .

بيد ، أو رجل ، اوسكون ، او يوصف بطول ، او قصر ، او تبلغه الاوهام ، او تحيط بصفته العقول ، انزل مواعظه ووعده ووعيده ، امراً بلا شفة ولا لسان ، ولكن كما شاء أن يقول : كن فكان خيراً كما أراد في اللّوح)[41] .

اشار الامام (ع) بقوله (ولكن كما شاء أن يقول : كن فكان خيراً كما في اللّوح) ، اشارة الى أن الله عزَّ وجلَّ عندما كتب في اللالواح لموسى لم يكتب بجارحة ولم ينطق بلسان ولا شفة ، إنما امر اراد ان يكون فقال له كن . .

عن محمّد بن زياد قال : سمعت يونس بن خبيان يقول : دخلت على ابي عبدالله (ع) فقلت له (إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً الاّ اني اختصر لك منه احرفاً : يزعم أنَّ الله جسم لأنّ الاشياء شيئان : جسم ، وفعل الجسم ، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل ، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل ، فقال ابو عبدالله (ع) : ويله ! اما علم أنّ الجسم محدود متناه ، والصورة محدودة متناهيةٌ فإذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان ، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً ، فقال : قلت فما اقول ؟ قال (ع) : لا جسم ولا صورة ، وهو مُجسّمُ الاجسام ، ومصور الصور ، لم يتجزّأ ولم يتناه ، ولم يتناقص ، لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ، ولا

---

(٤١) بحار الانوار ج ٣ ص ٣٥ .

بين المنشىء والمنشأ ، لكن هو المنشىء ، فرق بين من جسّمه وصوره وأنشأه ، إذ كان لا يشبه شيء ولا يشبه هو شيئاً)[٤٢] .

عن الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع) . حيث قال عندما ذكر عنده قومٌ يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل الى السماء الدنيا قال (ع) : (إن الله لا ينزل ولا يحتاج أن ينزل ، إنّما نظره (أي علمه) في القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد ، لا إله الاّ هو العزيز الحكيم ، أما قول الواصفين : أنه ينزل تبارك وتعالى ، فإنما يقول ذلك من ينسبه الى نقصٍ او زيادة . وكلّ متحرّك يحتاج الى من يحرّكه او يتحرك به ، فمن ظَنَّ بالله الظنون هلك ، فإحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص او زيادة او تحريك أو زوال أو إستنزال أو نهوضٍ أو قعود)[٤٣] .

ولا يسعنا في ختام المطاف الاّ أن نقول ما قاله اهل البيت في الله عزَّ وجلَّ ، لأنهم (ع) عرّفوه بما عرّف به نفسه ولم يزيدوا في ذلك كما زاد المبطلون فضلوا وأضلوا ضلالاً بعيداً .

إن الله جلّ ثناؤه وعظمت صفاته وأسماؤه لا يشبه شيء ، ولا يشبهه شيء وكل ما وقع في الوهم فهو بخلاف ، لأنه لم تحط به الاوهام حتى تدرك كنه معرفته ، ولم تبلغه العقول حتّى تتوصل الى حقيقته ، ولم

---

(٤٢) بحار الانوار ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٤٣) الكافي ١/ ١٢٥ .

تـره الابصار حتى تعرف كيفيّته ، الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد . . .

وبما تقدم ما هو واضح أن ما ذهبت اليه الشيعة الإمامية من أن رؤية الله محال وعليه اجماع الشيعة بإتفاق المخالف والمؤالف . واستدلينا على ذلك بالآيات القرآنية ما جاء عن الأئمة الاطهار(ع) على أنه لا تجوز الرؤية على الله عزّ وجلّ وإنه ليس بجسم ولا صورة .

الخاتمة

من المخجل أن يعيش الانسان وهو اشرف مخلوقات الله عزَّ وجلَّ في هذا الكون ، وقد سخّر الله له كل ما في الكون من اجل سعادته وراحته ، فأنعم عليه من الخيرات ما لم ينعمه على احد غيره ، فقد قرّبه منه وأدناه واعطاه العقل الذي ميّزه به على سائر المخلوقات ، وبه فضّله وكرّمه ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ من المؤسف أن يكون هذا الانسان اقرب مخلوقات الله منه عزَّ وجلَّ وهو لا يعرف ربّه حق معرفته ، فيبتعد عنه بجهله وضلالته . وحريّ بك أيها الانسان أن تعرف ربّك الذي خلقك وسواك وكرّمك واعطاك وادناك منه وقربّك . .

إذا أردنا أن نعرف ربنا عزَّ وجلَّ حقّ المعرفه علينا أن لانسلك غير السبيل الذي رسمه لنا للتعرف عليه . وقد بين رسول الله (ص) وأئمّة الهدى من أهل بيته (ع) الطريق الى معرفة الله ، ولا اعتقد النجاح لمن يسلك غير طريقهم للمعرفة ، بل انّي موقن حق اليقين ان

من سلك طريقاً غير طريقهم (ع) فإنه سوف يضّل الضلال البعيد كما ضّل من كان قبله . ﴿ **أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبّع أمن لا يهدي إلاّ أن يهدى** ﴾ . ولا يسعني الاّ أن اختم بدعاءلأمير المؤمنين (ع) : (اللهم أنت أَهلُ الوصفِ الجميل ، والتَّعْدادِ الكثير ، إن تُؤمَّل فخيرُ مأمول ، وإن تُرجَ فخيُر مرجُوٍّ . اللَّهُمَّ وقد بَسطتَ لي فيما لا أَمْدحُ بِهِ غيرك ، ولا أُثني به على احدٍ سواك ، ولا أُوجِّهُهُ الى معادنِ الخيبةِ ومواضع الرِّيبةِ ، وعَدَلْتَ بلساني عن مدائحِ الآدميّين ، والثناء على المربوبين المخلوقين . اللَّهُمَّ ولِكُلِ مثنٍ على من اثنى عليهِ مثوبة من جزاءٍ ، أو عارِفَةٌ من عطاءٍ ، وقد رجوتُك دليلاً على ذخائر الرحمة وكُنوزِ المغفرة . اللهم وهذا مقام من افردك بالتَّوحيدِ الذي هو لك، ولم ير مُستَحِقّاً لهذه المحامد والممادح غيرك ، وبي فاقةٌ اليكَ لا يجُبر مسكَنتها إلاّ فضلك ، ولا ينعش من ضلّتها الاّ مَنُّكَ وجودُك ، فهب لنا في هذا المقام رضاك ، وأغننا عن مدِّ الأيدي الى سواك ، ﴿ **إنك على كُلِّ شيءٍ قدير** ﴾ .

اللهم اغفر لنا وتقّبل منا بأحسن قبولك إنك حميدٌ مجيد وصلى الله على خير خلقك محمّد وآله الهداة الميامين وأصحابه المنتجبين وسلّم تسليماً كثيراً .

الفهرس

